

موقف المستشرقين من السنة النبوية من خلال دائرة المعارف الإسلامية

بحث متخصص في الدفاع عن السنة النبوية

إعداد الدكتور: طارق بن محمد بن إبراهيم إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَآتَيْتُمْ مَكْمُورًا﴾ [آل عمران: ٧١]، لقد ظهر الاهتمام الغربي بالإسلام وعلومه منذ وقت مبكر، فمنذ القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً حينما ضعفت الدولة العثمانية، ظهرت هناك طليعة من المستشرقين اهتمت بالمعارف الإسلامية، فأنجبت الموسوعات العلمية في مختلف العلوم الإسلامية، ونشطت في تحقيق التراث الإسلامي، وكان الهدف من ذلك كله تقديم المعرفة للقراء عن الدين الإسلامي حسب التصور الغربي، فكان من أبرز إنتاجهم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي نشره المستشرق الهولندي فنسك، كما قام هو بنشر الكتاب الذي ترجم إلى اللغة العربية بعنوان: مفتاح كنوز السنة، وكذلك ما قام به المستشرق الألماني فلوجل بإصدار فهرساً بعنوان: نجوم الفرقان في أطراف القرآن، وهو أول فهرس نشر في أوروبا للقرآن الكريم، إضافة إلى موسوعة: تاريخ الأدب العربي، الذي نشره المستشرق الألماني كارل بروكلمان، ومن أضخم تلك الأعمال: دائرة المعارف الإسلامية، على غرار دائرة المعارف البريطانية والفرنسية وغيرها، فظهرت بصورة ضخمة تعد من أكبر الدراسات الاستشراقية عن الإسلام، وأعظمها خطورة خلال القرن العشرين، وقد تميزت هذه الدائرة بأنها نتجت عن جهود دولية، أشرفت عليها مؤسسات عالمية، وفق خطط منظمة، تدعى لها المستشرقون من كل مكان، وقدموا خلاصة جهودهم من خلال تصوراتهم وأهدافهم.

والمطلع على هذه الدائرة يجد أنها تناولت السنة النبوية وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام بالتقصص والطمع والغمز واللمز، والتشكيك في المحكمات الشرعية الثابتة في السنة النبوية، مما جعلها تقدم معلومات خاطئة، وشبهات مضللة، ذات خلفية دينية عن النصرانية واليهودية، فجانبت في طرحها الصواب والحيدة، فضلاً عن الموضوعية والإنصاف.

ولأهمية ما ذكر، فقد توجهت الرغبة لكتابة بحث في ميدان الدفاع عن السنة النبوية، لتتبع أخطاء كتاب الدائرة تجاه السنة النبوية، وفق المنهج المشار إليه في خطة هذا البحث.

أسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب والتوفيق.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب اختيار الموضوع

احتلت دائرة المعارف الإسلامية مكان الصدارة لدى كثير من المثقفين في عصرنا، وبهرت عقولهم، وصارت في محل المرجعية، ومصدراً معرفياً عن الإسلام في الأوساط العلمية، فكان لزاماً على أهل الإسلام أن يبينوا أخطاء هذه الدائرة، ويفندوا ما فيها من شبهات، لذا فقد جاءت هذه الدراسة في هذا الموضوع للأسباب التالية:

- أن هذه الدائرة اشتملت على مطاعن في السنة وما يتعلق بالرسالة المحمدية، وما لقينته من انتشار في المكتبات والأوساط العلمية في الغرب، وعند كثير من المسلمين، فكان من الواجب توضيح ذلك.
- أن كتابها تناولوا على السنة، تارة بتكذيب الأحاديث النبوية، وتارة تفسيرها بتفسيرات منحرفة عن أصول الإسلام، حتى أصبحت هذه الدائرة بمثابة مرجع عن الإسلام، ومصدر موثوق عنه.
- الشعور بضرورة تصحيح المفاهيم الإسلامية التي قامت الدائرة بتشويهها لدى القارئ الغربي.
- محاولة الكشف عن بعض الدسائس والحقائق الغريبة للإسلام النابع عن مخططاتهم الاستعمارية، وإظهار الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بين الإسلام والغرب.

الدراسات السابقة له

قام علماء الأمة بواجب الدفاع عن الإسلام، ودحض شبهات المستشرقين، فظهرت دراسات متفرقة عن افتراءات المستشرقين تجاه السنة النبوية، إلا أن هذه الدراسات لم تختص بهذه الدائرة، ومن ذلك:

- ما كتبه الشيخ مصطفى السباعي - رحمه الله - في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، خصص فيه فصلاً عن أغراض المستشرقين، وخاصة المستشرق جولد تسهير .
- ومن ذلك ما كتبه الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه الله - في الرد على شبهات المستشرقين وأبواقهم، في كتابه: الدفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ...

- وأيضاً الدكتور محمد مصطفى الأعظمي في كتابه: دراسات في الحديث النبوي، ودراسات أخرى لم تكن عنايتها بالسنة النبوية خاصة.

إلا أن هذه الدراسات بقيت منثورة، ولم أقف - حسب إطلاعي - على دراسة مختصة عن موقفهم من السنة النبوية، من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .

* المقدمة: وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختياره.
- الدراسات السابقة له.
- خطة البحث.
- خطوات كتابة البحث.

* التمهيد: وفيه:

- التعريف بالاستشراق وأهدافه، ويشمل:
- أهداف الاستشراق.
- وسائل المستشرقين.
- التعريف بدائرة المعارف الإسلامية.

* الباب الأول: المستشرقون والإسلام في دائرة المعارف الإسلامية، وتحتة فصول:

الفصل الأول: المستشرقون والقرآن الكريم.

الفصل الثاني: المستشرقون والشريعة الإسلامية (الفقه).

الفصل الثالث: المستشرقون والتاريخ الإسلامي.

* الباب الثاني: المستشرقون والسنة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية، وتحتة فصول:

الفصل الأول: المستشرقون والرسول محمد ﷺ ورسالته.

الفصل الثاني: المستشرقون والحديث النبوي.

الفصل الثالث: المستشرقون ورواة الحديث.

* الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمراجع.

خطوات كتابة البحث

احتوت دائرة المعارف الإسلامية على جملة كبيرة من المطاعن والافتراءات على الإسلام، في كل أبوابه وفروعه، وليس من المستغرب أن تظهر هذه الموسوعة بهذه المستوى، بل المستغرب أن تكون هذه الدائرة مرجعاً لدى كثير من المتقنين، ولهذا فقد اتبعت في هذا البحث الخطوات التالية:

١/ اعتمدت في الرجوع إلى دائرة المعارف الإسلامية على الطبعة العربية المترجمة عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي، واتخذت من الأجزاء (١٠، ١١، ١٢) التي أصدرها: أحمد الشنتاوي ورفاقه، نموذجاً لهذه الدراسة، إذ أن تعقب الدائرة بأكملها يتطلب جهوداً من جهات، أو باحثين متخصصين.

٢/ قمت بمراجعة جميع المواد الواردة في الأجزاء المذكورة أعلاه، وحصرت المواد المتعلقة بالسنة النبوية التي فيها اختلاف مع ما هو في الكتاب والسنة وما له صلة بهما، وتجنبنا المسائل العقدية، لأنها حظيت بدراسة أكاديمية مستقلة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بعنوان: الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية، للدارس: حميد بن ناصر بن خالد الحميد، عام ١٤١٥هـ.

٣/ بعد تصنيف المواد المتعلقة بالسنة النبوية قمت بدراسة محتوى تلك المواد المخالفة للكتاب والسنة وتحديد ماهية المشكلة المراد دراستها، وكشف المادة الاستشراقية على حقيقتها، ومن ثم جعلت لها عناوين تصف محتوى كل مادة كما جاءت في الدائرة.

٤/ التزمت بعدم الاستطراد في الرد على مفترياتهم وشبهاتهم، وذلك خشية الإطالة.

٥/ وضعت تحت كل عنوان ما يندرج تحته من المواد، ثم أختتمه بالنقد إجمالاً، وربما أفصل في النقد لحاجة المقام إلى ذلك.

٦/ نقدت المستشرقين في شبهاتهم، عن طريق النقل والعقل، بما يتضح خطئهم ومخالفتهم لأصول الإسلام، ويبين بطلان حججهم.

٧/ رجعت إلى ما يلزم من المراجع العلمية، وأشارت إليها في الهامش.

٨/ وضعت في آخر البحث فهارس للآيات والأحاديث والمراجع والموضوعات.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالاستشراق.

الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

لقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما، فالاستشراق حركة انطلقت بباعث ديني، تستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله، ونشر المسيحية^(١).

ويعرف الدكتور مازن مطبقاني، فيقول: الاستشراق هو كل ما صدر ويصدر عن الغربيين من أوروبيين أو أمريكيين من دراسات أكاديمية تتناول قضايا المسلمين في العقيدة أو الشريعة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة أو الفكر أو الفن وغير ذلك، كما يلحق بالاستشراق ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء كان بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية أو ما تنشره صحفهم أو مجلاتهم من كتابات تتناول المسلمين، كما إن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون الغربيون والسياسيون في ندواتهم التي يعقدونها ويقيمون بحوثها ونتائجها وتوصياتها سراً قاصراً عليهم.

ويمكن أن نلحق بالاستشراق أيضاً نصارى العرب من مارونيين وأقباط وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام النظرة الغربية ويتعاطف مع الغرب كما حدث في بداية ظهور الموجة القومية.

ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء الباحثين من شرق آسيا وجنوب شرقها ممن تلقى المعرفة بالإسلام عن طريق الجامعات الغربية.

أما تلاميذ المستشرقين المخلصين للنظرة الاستشراقية فتجب دراستهم عن أنهم أتباع للاستشراق..

ويلاحظ اهتمام المستشرقين وأقسام الدراسات العربية الإسلامية ومراكز البحوث وأقسام الشرق الأوسط بإنتاج تلاميذهم فتقوم كبرى دور النشر الجامعية والتجارية بنشر إنتاجهم

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٦٩٧/٢

ومن الأمثلة على ذلك كتب عزيز العظمة، وصادق العظم، وفاطمة المرنيسي، ونوال السعداوي، ومحمد عبد الحي شعبان.. والقائمة طويلة^(١).

ويرى آخرون: أن الاستشراق اختراع أوروبي، يتصرف بخامات شرقية، ويتحرك بأدوات غربية، لخدمة المصالح الأوروبية، وتعزيز هيمنة الغرب على الشرق، وتأكيد تفوقه وسيادته، وهو التعبير الواضح للمركزية الغربية، القائمة على نفى الآخر.

ونستطيع أن نقول أن الاستشراق بدأ أول ما بدأ بترجمة بعض الكتب العلمية العربية، وكان من أوائل من شارك في الحركة: جيرار دي كريمونا ١١١٤ - ١١٨٧ م إيطالي، ترجم ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة والطب والفلك وضرب الرمل.

وأيضاً: بطرس المكرم ١٠٩٤ - ١١٥٦ م ، فرنسي قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام، وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م التي قام بها الراهب الإنجليزي روبرت أوف كيتون، ويحدد كثير من المستشرقين هذا التاريخ بداية لحركة الاستشراق.

ومنهم: يوحنا الإشييلي: يهودي منتصر، ظهر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم، نقل إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البلخي ١١٣٣م وقد كان ذلك بمعاونة إدلر أوف باث.

ومنهم: روجر بيكون ١٢١٤ - ١٢٩٤م ، إنجليزي، تلقى علومه في أكسفورد وباريس حيث نال الدكتوراه في اللاهوت، ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء.

ومنهم: رايموند لول ١٢٣٥ - ١٣١٤م قضى تسع سنوات ١٢٦٦ - ١٢٧٥م في تعلم العربية ودراسة القرآن، وقصد بابا روما، وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام، ووافقه البابا، وفي مؤتمر فيينا سنة ١٣١٢م تم إنشاء كراسٍ للغة العربية في خمس جامعات أوروبية هي: باريس، أكسفورد، وبولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بأسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما.

وبهذا نعلم أن المستشرقين قاموا بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية^(٢).

(١) مقتبس من موقع المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق www.madinacenter.com

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (بتصرف) ٦٩٨/٢ .

أهداف الاستشراق:

الهدف الديني :

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه خلال مراحل الطويلة، وهو يتمثل في:

١- التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، والزعـم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

٢- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم.

٣- التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.

٤- النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.

٥- إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

٦- العمل على تنصير المسلمين.

٧- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.

٨- لقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحرب الصليبية.

الهدف التجاري:

لقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى، والملوك كذلك، يدفعون المال الوفير للباحثين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

الهدف السياسي أو الاستعماري:

١- إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهـم لإحكام السيطرة عليهم.

٢- العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

٣- كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها.

٤- في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي.

الهدف العلمي:

إن اتصال الغرب بالإسلام في الأندلس دفع كثيراً من الباحثين لينهلوا من العلوم الإسلامية، ويشهد لذلك أن ترجمات كتب المسلمين لاسيما في العلوم التجريبية ظلت مصدراً وحيداً للتدريس في جامعات أوروبا، ولا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى اهتمام الغرب بالمخطوطات الإسلامية التي جمعوها إبان استعمارهم للعالم الإسلامي، وقد استفادوا منها، وشارك بعض المستشرقين بتحقيق كتب في التراث الإسلامي، وامتازت هذه التحقيقات بمنهجية علمية في التبويب والفهرسة، وقد اتجه بعض المستشرقين إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة، ووصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه، نذكر منهم: توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، والمستشرق الفرنسي رينيه فقد أسلم وعاش في الجزائر وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام، مات في فرنسا لكنه نفع في الجزائر، واللورد هيللي دينيه (ناصر الدين)، والدكتور جرينيه الذي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي، ومن العرب إبراهيم خليل أحمد، والذي كان من كبار المنصرين في مصر وقدم أطروحة للدكتوراه عن تناقضات القرآن فغلبه القرآن وأعلن إسلامه قائلاً أن القرآن غلبي^(١).

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

١- قاموا بتأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، عن القرآن والسنة وتاريخ المسلمين.

٢- أنشأوا الجمعيات والمراكز العلمية التي تخدم الدراسات الشرقية، وتحقق أغراضهم.

٣- عقدوا عدة مؤتمرات التي ظاهرها البحث العلمي، وفي حقيقتها إحكام الخطط الاستعمارية وأول مؤتمر دولي عقد للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣م، ويحضر هذه

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٨٠ .

المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين، حيث حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة ٩٠٠ عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.

٤- أصدروا عدداً من الصحف والمجلات في العالم الإسلامي، لمخاطبة المثقفين من المسلمين، ومن خلالها نشروا آراءهم وطمعنهم في الإسلام، ومن تلك المجلات: مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها رئيس المبشرين في الشرق الأوسط زويمر سنة ١٩١١م من أمريكا.

٥- حشدوا كل قواهم وكتائبهم ومثقفهم لإصدار: دائرة المعارف الإسلامية، وقد اشتملت على خلط وتحريف وتعصب ضد الإسلام والمسلمين، كما يتبين من خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى.

٦- أنشأوا الكليات التي تُعنى بالديانات الشرقية ولغاتها، واستقطبوا إليها الطلاب من العالم الإسلامي، ليكونوا رسلاً لهم إلى مجتمعاتهم، ويروجوا أفكار المستشرقين^(١).

ثانياً: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية.

تُعتبر دائرة المعارف الإسلامية أكبر نتاج موسوعي للمستشرقين، شارك في تحريرها عدد كبير من المستشرقين من جنسيات مختلفة، تحت إشراف المستشرق (فنسنك) الذي أشرف على وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، ويتصف معظم كتّابها بعدم الحيادية في تناول القضايا الإسلامية، والذين من أبرزهم:

١- لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢) أكبر مستشقي فرنسا المتأخرين.

٢- جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٧٠) مستشرق هولندي من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

٣- هنري لامنس اليسوعي (١٨٦٢-١٩٣٧) مستشرق بلجيكي المولد فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين.

٤- رينولد ألين نيكلز (١٨٦٨ - ١٩٤٥) من أكبر مستشقي إنجلترا المتأخرين، تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة.

٥- دافيد صموئيل مرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠) وهو ابن حزقيال الإنجليزي البروتستانتي، متعصب ضد الإسلام، ومن كبار المستشرقين، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

(١) موقع الدكتور مازن مطبقاني على الانترنت، www.madinacenter.com - ص ١٠٧

- ٦- دانكن بلاك ماكدونلد (١٩٤٣ -) مستشرق أميركي من أشد المتعصبين ضد الإسلام، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة.
- ٧- إجناس جولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١) مستشرق مجري موسوعي، عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه.
- ٨- أ.ج. أربري. مستشرق إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، عمل أستاذًا بجامعة كمبردج.
- ٩- كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦) مستشرق ألماني يعتبر أحد أبرز المستشرقين في العصر الحديث، عالم بتاريخ الأدب العربي.
- ١٠- كريستيان سنوك هرجرونييه (١٨٥٧-١٩٣٦) مستشرق هولندي ولد في استرتهوت وتعلم بلندن وإستراسبورج.
- ١١- جودفروا ديمومبين (١٨٦٢-١٩٥٧) مستشرق فرنسي كان أستاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس.
- ١٢- توماس ووكر آرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠) مستشرق إنجليزي من أهل لندن.
- ١٣- رينيه باسيه (١٨٥٥-١٩٢٤) مستشرق فرنسي من أعضاء المجمع العلمي العربي.
- ١٤- إيفارست ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٥) مستعرب فرنسي الأصل كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها، ولد وتعلم في الجزائر.
- ١٥- كارل فلهلم سترستين (١٨٦٦-١٩٥٣) مستشرق سويدي من العلماء وأحد أعضاء جمعيات علمية كثيرة، منها المجتمع العلمي العربي.
- ١٦- جورجبوليفي دلافيدا (١٨٨٦-١٩٦٧) من كبار المستشرقين الإيطاليين مولده ووفاته بروما وكان أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعتها.
- ١٧- كارل فلرس (١٨٥٧-١٩٠٩) مستشرق ألماني تولى إدارة المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) مدة من الزمن.
- ١٨- فرانتس بوهل (١٨٥٠-١٩٣٢) مستشرق دنماركي من أعضاء المجمع العلمي العربي.
- ١٩- جاكب بارت (١٨٥١-١٩١٤) مستشرق ألماني كان يدرس العربية في الكلية الاكليريكية في جامعة برلين.
- ٢٠- ج. ه. كريمرز، مستشرق هولندي كثير الطعن في الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة.

٢١_ أدوين كالفرلي، مستشرق أميركي متعصب، رئيس تحرير مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية فترة من الزمن.

٢٢_ پاول كراوس (١٩٠٤_١٩٤٤) مستشرق ألماني من أصل تشيكوسلوفاكي تعلم في جامعة برانج، وتلقى العلوم الشرقية بجامعة برلين.

بعد هذا الاستعراض السريع لأبرز المستشرقين، الذين تصدّوا أو ساهموا تحت إشراف المستشرق "فنسك" في كتابة وتحرير مواد دائرة المعارف الإسلامية، نلاحظ بوضوح أن الجامع فيما بين توجهاتهم، وأبرز الخلافات التي تتحكّم في عقولهم وأقلامهم هي معاداة الإسلام، والتعصب ضده باعتباره ديناً سماوياً، لذا فإن بعضهم ينكر بصراحة أصل سماوية الدين الإسلامي، والبعض الآخر يحاول نسف الأساس الذي يقوم عليه القول بسماويته. وبذلك نستطيع أن نخرج برؤية كلية عن كتاب ومحرري هذه الدائرة، مفادها أنهم يفتقدون النزاهة والموضوعية في تناول أمهات القضايا الإسلامية، خصوصاً ما يمتّ إلى أصوله العقائدية بصلّة، وأنهم في طريقة تناولهم لها يهدفون إلى زرع الشكّ بصحة سماوية الدين الإسلامي، وصحة نزول الوحي الإلهي فيه على النبي ﷺ، وهذا ما نجده طافحاً في الكثير من مواد ومطالب دائرة المعارف الإسلامية.

ظهرت الطبعة الأولى من الدائرة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة ١٩١٣-١٩٣٨م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٤٥م وحتى عام ١٩٧٧م، وقام بترجمتها إلى العربية نخبة من وزارة المعارف بمصر، على الأصلين الإنجليزي والفرنسي.

الباب الأول : المستشرقون والإسلام في دائرة المعارف الإسلامية .

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المستشرقون والقرآن الكريم:

لقد واجه القرآن العظيم هجمة شرسة شنها المستشرقون عليه، فقد اهتموا بنشر الترجمات التي تتطوي على الأضاليل والأخطاء الفنية والشطحات التي تملؤها الحقد والتعصب، واستعملوا لغة قديمة بائدة في الترجمة أصبحت مهجورة وغير مألوفة، وخاطبوا المسلمين بلغتهم من أجل زعزعة النفوس عن القرآن وأنه حشو من الخرافات والأساطير، وإقناعهم ببطلان الإسلام،

واجتذابهم إلى الدين المسيحي، ويمكننا أن نلخص افتراءات المستشرقين عن القرآن الكريم في عدة نقاط كالتالي:

أولاً : يجتهد المستشرقون في إثبات أن القرآن الكريم مستمد من المصادر اليهودية والنصرانية، زاعمين أن الرسول ﷺ قد أخذَه عن التوراة^(١)، في هذا الصدد يقول المستشرق شاخنت: أن نهى القرآن عن الزنا كان تحت تأثير اليهودية أو النصرانية^(٢).

فكيف يزعمون هؤلاء ذلك وهم يعلمون يقيناً أن النبي ﷺ لم يكن يعرف العبرية، ولا أي لغة غير العربية كما أنه لم يتصل باليهود إلا بعد هجرته إلى المدينة.

ثانياً: ويرى بعضهم أن القرآن من كلام النبي ﷺ وأنه استقى تصوراتَه من العقائد الوثنية، يقول شاخنت: ووضعت قواعد جديدة في سورة النور في السنة السادسة للهجرة بمناسبة حادثة الإفك^(٣).

ويقول كندرماني في مادة السفينة نقلاً عن فرانكل: أن النبي ﷺ تحدث فيما لا يقل أربعين آية في القرآن عن فضل الله في تسخير البحر للناس^(٤).

ويقول هيفينك: أن جزاء السرقة وهو قطع اليد بنص القرآن، جزاء من ابتكار الرسول...، وقد يكون هذا النوع من العقوبة من أصل فارسي^(٥)، ويتهم القرآن بالقصور بأن القرآن ترك مكان القطع من غير بيان.

ويقول المستشرق بالاش في مادة (سبت): أن محمداً لم يرض عن وصف الله كما في الكتاب المقدس بأن الله استراح من عمله في اليوم السابع - السبت - كما يتضح من سورة ق^(٦).

ثالثاً: تفسيرهم لكلمات القرآن الكريم بتفسيرات يهودية، يقول المستشرق جوبل في مادة السكينة: بأنها كلمة مستعارة من العبرية "شكينا" وهي تدل على حضرة الله بالمعنى الروحي، وأن النبي ﷺ لم يتبين بجلاء المعنى الحق لهذه الكلمة^(٧).

(١) انظر مقال المستشرق شاخنت في الدائرة ٣٥٦/١٠ في مادة الزكاة، ومقال جوبل ١٢ / ١٩، في مادة السكينة. ومقال أرنندك ٤٣/١٢ في مادة السلام.

(٢) انظر مادة "زنا" في الدائرة ٤١١/١٠

(٣) انظر مقاله في ٤١٢/١٠ في مادة "زنا"، وانظر أيضاً ١٩/١٢

(٤) الدائرة ٤٥٨/١١.

(٥) انظر مقاله في مادة سارق: ٤١/١١

(٦) الدائرة ٢٢٣/١١

(٧) الدائرة ١٩/١٢، وانظر أيضاً مادة "سبت" في ٢٢٣/١١

ويقول ف. بول: أن (سبحان الله) صيغة دينية يتردد ذكرها في القرآن، يقصد بها التعجب مأخوذ من أصل ليس له وجود في اللغة العربية، ولكنها كلمة مستعارة من اللغة الآرامية، واستحدثت في العبرية والحبشية^(١).

رابعاً : افترأهم أن كلمات القرآن غامضة المعنى^(٢)، وأنها تطورت تطوراً تدريجياً في استعمالاتها الدينية عند المفسرين، فزعم جوبل أن كلمة السكينة الواردة في الآيات والأحاديث قد طرأ على معناها تغييراً عندما بدأ المعنى العبري يتسرب إلى المسلمين^(٣).

خامساً : عدم اتصافهم بالأمانة العلمية حينما ينقلون عن كتب التفسير، فيغيرون من المعاني بما يؤيد تصوراتهم.

يقول جوبل: أن كثيراً من مفسري القرآن وصفوا السكينة وصفاً شبيهاً بالجن^(٤).

ويقول هيج في تفسير (سلسيلا) : أي: سل ربك سبيلاً إلى هذه العين^(٥).

سادساً : زعمهم أن سور القرآن الكريم لم ترتب ترتيباً دقيقاً، وقد كان ثمة شيء من التسهل في جمعه أول الأمر^(٦).

ويتضح لنا جلياً من خلال مطالعة الدائرة، ومن خلال ما أشرنا إليه في هذا الفصل، أن معظم مقالاتهم وأبحاثهم مبنية على أسس غير صحيحة، انحرفت عن المنهج الصائب، واتخذت لنفسها طريق التحريف والتلاعب بالنص القرآني، وقد ردّ على جملة من هذه المزاعم الكاذبة المستشرق وليام موير في كتابه: حياة محمد، حيث تحدث فيه عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالماً، ووصف هذا التجني والحدق الأعمى من المستشرقين بأنه تهرب عن البحث العلمي الرصين.

وفي ختام هذا المبحث فإن أبرز أخطاء المستشرقين وعيوبهم في تعاملهم مع القرآن تتلخص في الآتي:

(١) انظر مقاله في مادة سبحان الله ٢٣١/١١

(٢) يقول المستشرق فكا: أن كلمة "سجل" في سورة الأنبياء من الكلمات القرآنية الغامضة ٢٩٧/١١

(٣) الدائرة ١٩/١٢

(٤) المرجع السابق، ويشير المستشرق إلى قول علي رضي الله عنه: أن السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان. تفسير الطبري ٣٨٥/٢، ويتضح الفرق بين ما ورد في التفسير، وبين ما صوروه في معنى السكينة.

(٥) انظر الدائرة ٨١/١٢

(٦) انظر ما كتبه المستشرق: ف. بول في مادة (سورة) ٣٥٨/١٢

- جهلهم بأسرار اللغة العربية، ومعرفتهم المحدودة بها، وبالمعاني الدقيقة للكلمات العربية، والخلط بين الكلمات المختلفة، وقصر فهمهم على جانب واحد من المعنى، كما فعل المستشرق ف. بول في مادة (سورة)^(١)، حيث فرق بين معنى سورة وبين القرآن، بينما هما مقترنان، ويقول المستشرق فنسك في مادة (الرب): أنها كلمة تدل على الوافر أو العظيم، ويطلق على الله في إحدى السور الأولى من القرآن، وكذلك يطلق على اللات...، ولا يرد المصدر (ربوبية) في القرآن ولا في الحديث، بل هو شائع الاستعمال في فقه الصوفية^(٢).

إن كلمة الرب لها معان ودلالات، وقصر الدلالة على الوافر أو العظيم، فيه قصور وانتقاص... فمن معاني الرب ودلالاته: الملك، الخالق، المنعم، القيم،...، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل^(٣).

- جهلهم بأساليب القرآن البلاغية، والانحراف بالنص عن قصده الحقيقي.

- الخلط بين العربية واللغة العبرية والسريانية، وخلط المفاهيم القرآنية مع بعض المعتقدات اليهودية، كما قال المستشرق نولدكه في مادة سورة^(٤): أنها بمعنى شورا في العبرية.

إذاً لا بد لمن تأثر بمناهج المستشرقين، ودأب على الأخذ عنهم أن يقف موقف الحذر والحيلة من جهودهم وأرائهم فيما يتعلق بالدراسات القرآنية، فقد رأينا أنهم يخضعون القرآن إلى مناهج وطرائق واستنتاجات قد تكون بعيدة عن الفهم القرآني الأصيل، لا سيما في مجالي التفسير والترجمة، فالتفسير مهما كان دقيقاً، قد لا يحصل منه المراد في اللغات الأخرى كما يحصل في اللغة العربية، والترجمة مهما كانت حرفية فقد تشذ عن الأصول البلاغية والأساليب الجمالية التي جاء بها القرآن الكريم، وهذه دعوة إلى عدم قبول أعمال المستشرقين إلا بعد أن نخضع هذه الجهود والأعمال للرصد والتقويم.

(١) الدائرة ٣٥٧/١٢ مادة سورة.

(٢) انظر مقاله في الدائرة ١١/١٠.

(٣) لسان العرب مادة: رب

(٤) المرجع السابق ٣٥٨/١٢

الفصل الثاني: المستشرق والشرعية الإسلامية .

دأب المستشرقون على زرع الشك في صلاحية الشريعة الإسلامية، واتهامها بالقصور، وأن النبي ﷺ اقتبس الشريعة من الديانات السابقة، والخلط بينها وبين الطقوس التي كانت موجودة في الجاهلية، ووصفها بأوصاف فيها نوع من الاستخفاف، كوصفها بأنها موروثة شعبية. ويمكن أن نلخص افتراءاتهم على الشريعة الإسلامية في عدة نقاط، ومنها:

١/ قطع الصلة بين الشريعة وبين ارتباطها بالوحي، وأنها مستقاة من الديانتين اليهودية والنصرانية، أو من البيئة الجاهلية التي عاشها النبي ﷺ في محاولة لسلخ الشريعة عن تفرداها بالأحكام.

يقول جوزيف شاخ في مادة (رضاع)^(١): فقد عولجت مسألة النسب في الرضاعة على أساس أنه مانع من الزواج، خلافاً لنص الآية الصريح، وكثيراً ما تساق في الحديث تلك العبارة المتشبهة مع الرأي الجاهلي، وهي أنه (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)^(٢) أ.هـ. لم يكن للنبي ﷺ أن يشرع إلا بما أذن له الله تعالى، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وليس للنبي ﷺ أن يخالف نصاً قرآنياً صريحاً، وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث: (إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب)^(٣)، فمصدر التشريع هو الله، لا العرف السائد في الجاهلية.

وفي مادة (رمضان)^(٤) يدعي الكاتب بلنسر أن الدين الإسلامي وشرائعه مأخوذة من اليهودية والنصرانية، وتفسير ما ورد في فضل الصوم ولياليه بما عند اليهود من طقوس ومعتقدات، ومن ذلك: نسبة ليالي العشر من رمضان، إلى أيام التوبة عند اليهود...، وليلة القدر تتفق من عدة نواح مع يوم الكفارة عند اليهود... الخ.

(١) الدائرة ١٠/١٣٠

(٢) هذا لفظ الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس، البخاري في النكاح باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) رقم (٥١٠٠)، ومسلم في الرضاع باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل ٢٣/١٠ بشرح النووي، وفي الباب عن عائشة وعلي وأم حبيبة.

(٣) أخرج الترمذي الحديث بهذا اللفظ في سننه كتاب الرضاع باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رقم (١١٤٦) بسند صحيح .

(٤) دائرة المعارف ١٠/١٨٥

وحاولوا جاهدين إيجاد وجه الشبه بين التشريع الإسلامي وبين ما عند اليهود والنصارى من تشريعات أو طقوس محرقة، يقول شاخت عند كلمة (زكاة)^(١): علماء الإسلام يفسرون كلمة زكاة بأنها الطهارة أو النماء أو الزيادة، والحقيقة أن النبي عليه السلام استعمل هذه الكلمة بمعنى أوسع من ذلك بكثير، أخذاً عن استعمالها عند اليهود ... ولا ريب أن النبي قد عرف ذلك من يهود المدينة معرفة أدق. أ.هـ.

ويقول نفسه في مادة (زنا)^(٢): وعقوبة الرجم هذه لابد أن تكون قد دخلت في الإسلام منذ وقت مبكر، ترجع بلا شك إلى الشريعة اليهودية. أ.هـ.

إن المستشرقين كلما رأوا خيراً في الإسلام نسبوه إلى اليهودية أو النصرانية، ونسوا أن هذه الشريعة هي من عند الله، كما أن شريعة التوراة والإنجيل من عند الله، إلا أن الله عز وجل تكفل بحفظ هذا الدين وصان مصدر التشريع من التحريف، وأما التوراة والإنجيل فقد تعرضا للتحريف مما لا شك فيه عند الجميع.

ويقول فنسك في مادة (سبعة)^(٣): هذا الرقم له مدلول خاص عند المسلمين... فيرجع بعضه إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل، وبعضه إلى عقائد متأصلة عند العرب في أيام جاهليتهم، ومن هذه العقائد بلا شك الطواف حول الكعبة سبع مرات والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات، والجمرات سبع مرات... - ثم تطرق إلى السبع المثاني والأحرف السبعة - وقد جرى المسلمون على سنة المسيحيين فجعلوا الخطايا الموبقات سبعاً.

قال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على هذا المقال: يردد الكاتب في هذه المادة دعوى بعض المستشرقين أن الإسلام مقتبس من الأديان السابقة، وليس وحياً من عند الله وأن رسول الله ﷺ اقتبس ممن عرف من أهل الكتاب!! أما متى كان ذلك؟ وأين كان هؤلاء الذين أخذ عنهم؟ كل هذا لا يهم كاتب المقال، ولا يبحث عن دليل عليه، بل هو يعرف أنه لا يجد، ولذلك تجد كلامه كله مبنياً على: لعل، وربما^(٤).

٢/ أن النبي ﷺ صاغ الشريعة تحت تأثير البيئة الجاهلية، ووصفها بأنها شعائر وثنية، وأنها قديمة موروثية.

(١) دائرة المعارف ٣٥٦/١٠

(٢) دائرة المعارف ٤١١/١٠

(٣) دائرة المعارف ٢٤٣/١١

(٤) انظر تعليق الشيخ على مادة (سبعة) في دائرة المعارف ٢٤٥/١١

يقول ديموميين في مادة (الرجم)^(١): رمي الجمرات في منى وهو من الشعائر التي كانت موجودة قبل الإسلام، وأبقاها النبي ﷺ وجعلها من مناسك الحج.

ويقول: والمأثورات الشعبية ترد رمي الجمار كما ترد كثيراً من المناسك إلى إبراهيم، فيروى أن الشيطان تعرض لإبراهيم أو هاجر أو إسماعيل، بل تعرض لمحمد نفسه لكي يفتنه عن قضاء مناسك الحج فرماه بالحجارة وطرده... ثم قال: ومن ثم لا شك أن الجمرات كان له طابع سحري أو وثني ما...

و يقول أيضاً: أن الجمار يمثل شعائر قديمة، وشبهوه برمي قبر أبي رغال، وأن المسألة هي مسألة طرد الشر.

وصوروا أحكام الشريعة أنها مخترعة من لدن محمد ﷺ، وأنها من تأليفه واختياره، فيقول كاتب مادة (الرجم): ولما كان لا بد للنبي عليه السلام من أن يختار من بين أصحابه الذين يرجعون إلى أصليين مختلفين أعني المهاجرين والأنصار، فإنه اختار مع الآخرين الوقوف بعرفة، ولكنه احتفظ بوقوف ثانوي، كما احتفظ بالإفاضة... أ.هـ.

وكما كتب المستشرق هيفينك في مادة (سارق)^(٢): وكان هذا الجزاء - أي حد السرقة - من ابتكار الرسول ﷺ...، ثم قال: وقد يكون هذا النوع من العقوبة من أصل فارسي.

٣/ الخلط بين بعض الشعائر وبين البدع.

يقول المستشرق بلنسر في مادة (رجب)^(٣): الشهر الذي وقع فيه المعراج، وقد حدد يوم وقوعه فيما بعد بالليلة ٢٧، ولذلك عرفت هذه الليلة بليلة المعراج، ويحتفل بها بقراءة قصة المعراج أ.هـ.

إن المعراج من آيات الله العظيمة، الدالة على عظم منزلة الرسول ﷺ عند الله، وعلى علوه سبحانه، وقد تواتر عنه ﷺ أنه عرج به إلى السماء وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة، فكلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس، وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره، فالاحتفال فيها بقراءة قصة المعراج، وإحياء تلك الليلة بالعبادة والذكر أمر غير مشروع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه ولا من جاء بعدهم من التابعين من أصحاب القرون المفضلة^(٤).

(١) الدائرة ٥٩/١٠

(٢) دائرة المعارف ٤١/١١

(٣) الدائرة ٥٠/١٠

(٤) انظر رسالة في حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، للشیخ/عبد العزيز بن باز رحمه الله.

ويقول ديمومبين في مادة (الرجم): على أن بعض النصوص تجوّز رمي نوى التمر أو بعرجل أو العصفور الميت^(١).

٤/ وصف الشريعة بأوصاف فيها استخفاف.

يقول ديمومبين في مادة الرجم^(٢): هناك حديث ينهى عن هذه اللعبة الخطرة... - واستدل بحديث النهي عن الحذف بالحصى - ، ثم استرسل بالاستهزاء بهذه الشعيرة فقال: أن الجمرات ترمى واحدة واحدة، كما ترمى الكرات البلورية الصغيرة في اللعب بها.

وفي مادة (رمضان)^(٣) جرد الكاتب بلنسر أيام الصوم ولياليه من روحانياتها، يقول: فبسبب امتناع الناس عن الملذات في نهاره، فإنهم ينامون في كثير من الأحيان شطراً من النهار، أما الليل الذي ينتعش فيه المرء فينصرف الناس فيه إلى شتى أنواع المتع والمسرات، وليالي رمضان بصفة خاصة هي ليالي التسلية للكافة، فتقام الحفلات والمسارح.

لا يخفى على هذا المستشرق بل على أي مطلع في تاريخ المسلمين، كيف كان الصوم من أعظم الطاعات وأجل العبادات، والله اختصه لنفسه من بين سائر العبادات لشرفه، والصوم جنة ووقاية من اللغو والرفث، والمتأمل في تاريخ الأمة عبر تاريخها الطويل، يجد أنه في رمضان تتضاعف الأعمال والطاعات وهو شهر الجهاد وانتصارات الأمة.

إن هذه الدراسات الغربية تكرر فيمن يقرأها المفاهيم المعكوسة، وتُظهر شهر رمضان على أنه شهر الملذات والكسل والخمول، وما تبثه قنوات الفجور المدعومة من اليهود في ليالي رمضان مما يחדش الحياء والفضيلة، إلا سلسلة من تشويه صورة الإسلام ونقائه.

٥/ عرض أحكام الشريعة الإسلامية على وجه التضارب.

في مادة (سارق) يحاول الكاتب إظهار التضارب في أحكام الشريعة، فيقول: في مستهل القرن الأول للهجرة كانت تقطع اليد اليمنى أو اليسرى، ولم يكن ثمة حكم ثابت، ويترك القرآن هذه النقطة من غير بيان، وفي حديث أن أبا بكر أمر بقطع اليد اليسرى، وفي قول الفقهاء أن يد السارق اليمنى هي التي تقطع من المعصم...^(٤).

(١) الدائرة ٦٢/١٠

(٢) الدائرة ٦٢/١٠

(٣) النثرة ١٨٥/١٠

(٤) دائرة المعارف ٤١/١١

٦/ إظهار الحكمة من مشروعية بعض الأحكام بناء على تصوراتهم ..

في مادة (الرجم) يقول الكاتب: أن الحصى الذي يجمع ولا يستعمل فيجب أن يدفن، لأنه تصير له صبغة مقدسة تجعله خطراً، وأن الملائكة تأخذ الجمرات التي يقبلها الله من راميها^(١). أ.هـ. ويقول: ونحن الشريعة سمحت بأوقات أخرى للرمي، وكان ذلك بحكم بقاء العادات القديمة أكثر مما كان بدوافع التسهيل والتيسير. أ.هـ.

كثيراً ما ترد عبارات في الدائرة تُشعر أن أحكام الإسلام وشرائعه متأثرة بالديانات الوثنية أو اليهودية أو النصرانية بما يهدم الحكمة من مشروعيتها، ألا وهي تقرير التوحيد الخالص، وأنها من تأليف النبي ﷺ واختياره، فهو يختار من بين العادات المختلفة السائدة في المجتمع الجاهلي لتكون شريعة وعبادة في الإسلام، وتقوم هذه المقالات بدورها في بث بعض المفاهيم، وإبراز بعض الطقوس التي ليس لها أصل في الشريعة، ولا يعرف لها مصدر يُرجع إليه.

ونلاحظ أن المستشرقين يستقون معرفتهم من مراجع أهل الكتاب، وما يكتب في الغرب عن الإسلام، ومعلوم أن هذه المراجع لا تهتم كثيراً بتاريخ جزيرة العرب وخصوصاً تاريخ إبراهيم عليه السلام ودعوته إلى التوحيد، فنراهم يعزّون كثيراً من الشعائر والمناسك إلى الوثنية التي كانت سائدة في جزيرة العرب قبل الإسلام، ومنها رمي الجمار، بينما الحج وما فيه من شعائر ومناسك، دعوة خالصة إلى التوحيد، ونبذ الشرك، فما شرع الله الحج إلى بيته إلا من أجل توحيد بالعبادة، ووصى نبيه إبراهيم بتطهير البيت من الشرك والمعاصي ليكون مناراً للتوحيد، ثم أمره عقب ذلك بأن يؤذن في الناس بالحج، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٥ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ٦ وَعَلَىٰ مِلَّةِ سَارِ مُحَمَّدٍ ٧ مِمَّنْثَلًا ٨ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(١) روى الطبراني في الأوسط والحاكم حديث أبي سعيد الخدري، قال: قلنا يا رسول الله: هذه الجمار التي ترمى كل سنة فنحسب أنها تنقص؟ قال: "ما يقبل منها رفع، ولولا ذلك لرأيتموها مثل الجبال"، قال المنذري في إسنادهما: يزيد بن سفيان التميمي، مختلف في توثيقه. الترغيب والترهيب ١٣١/٢، وقال عنه الحافظ في التقریب (٨٣٩٧): متروك.

٧/ أن أحكام الشريعة استقرت بعد وفاة النبي ﷺ:

يقول شاخت: إن نظام الزكاة المفصل ينسب في الغالب إلى أبي بكر، وينسب أحياناً إلى النبي عليه السلام أو إلى عمر بن الخطاب، أو إلى علي بن أبي طالب...، ويقول: لما امتنع بعض المسلمين عن أداء الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، كانت صلابه أبي بكر رضي الله عنه هي التي جعلت من الزكاة في صورتها الضريبية نظاماً دائماً. أ.هـ.

إن من يقرأ هذا يظن أن موقف أبي بكر وصلابته مع المانعين كان سبباً في ثبات حكم الزكاة وإقراره، والحقيقة أن صلابته وقتاله للمانعين ثبّتت نفوذ الإسلام وأوامره بصفة عامة من أن تنقض بعد وفاة النبي ﷺ، ولا يشك مسلم أن الزكاة مفروضة بالكتاب والسنة، ومن جحد وجوبها يكون مرتداً يجب على الإمام قتاله حتى يؤديها.

٨/ عرضهم لأحكام الشريعة بوجه خاطئ:

جعل كاتب مادة (زكاة)^(١) المستشرق شاخت نصاب الزكاة في البقر عشرون من البقر، والصواب ثلاثون.

ويقول: أن نصاب الحلي من الذهب والفضة يُقدر بحسب قيمتها التجارية، والصواب أن النصاب يُقدر بوزنها لا بقيمتها التجارية.

ويقول هيفينك في مادة (سارق)^(٢): أن أبا بكر أمر بقطع اليد اليسرى.

والصحيح أنه لا خلاف بين الصحابة أن أول ما يُقطع من السارق يده اليمنى^(٣).

الفصل الثالث : الاستشراق والتاريخ الإسلامي

تقدم أن من أهداف الاستشراق القيام بدراسات عن الحضارة الإسلامية لتحقيق أغراض الاستعمار والتنصير، وقد تناولت دائرة المعارف هذه التاريخ الإسلامي من جميع جوانبه، وأثارت الشبهات حوله وحول تراث المسلمين وآدابهم ورجالاتهم، وتعمدت التشويه والتحريف لكل القيم والمثل شأن أعلام الإسلام، وطعنن فيهم بكل أنواع الدس والتزييف، ومن يقرأ هذه المقالات يجد أنها تفتقر إلى المنهج العلمي الذي نادوا إليه، والأمانة العلمية المطلوبة عند أي بحث.

(١) دائرة المعارف ٣٥٩/١٠

(٢) دائرة المعارف ٤١/١١

(٣) المغني لابن قدامة ٤٤٠/١٢

وأستطيع أن أقول أن هذه الدائرة برمتها موضوعها ليس فقط تقديم المعرفة عن مفردات المعارف الإسلامية، بل موضوعها تشويه التاريخ الإسلامي، وتلطيف وجه الحضارة الإسلامية الباهرة، وتحريف معالم الفكر الإسلامي الرصين.

وفيما يلي نجمل أبرز الثغرات المنهجية لدى المستشرقين تجاه التاريخ الإسلامي:

١/ فرية انتشار الإسلام وتوسيع رقعة بلاد الإسلام بحد السيف^(١).

إن هذه الفرية كثيراً ما يرددها المستشرقون أذئاب الاستعمار، لإظهار الإسلام أنه دين القتال والاعتداء والتجني، نعم إن الإسلام انتشر بالغزو، غزا القلوب وأسر النفوس بسماحة تعاليمه في العقيدة، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وآدابه في السلم والحرب، وسياسته الممثلة في عدل الحاكم، وإنصاف المحكومين، والرحمة الفائقة، والإنسانية المهدبة في الغزوات والفتوح، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا عجب أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس، واستجابت إليه الفطرة السليمة، وتحملت في سبيله ما تحملت، فاستعذبت العذاب، واستحلت المر، واستسهلت الصعب، وركبت الوعر، وضحت بكل عزيز وغالٍ في سبيله، والتاريخ الإسلامي منذ بزوغ فجره شاهد على ما نقول.

الإسلامية العليا، وأبرزت الرموز المنحرفة كالحلاج والراوندي، وحطت من الجهاد الذي يريدون إبطاله بهذه الفرية، شرعه الله للدفاع عن العقيدة وتأمين سبلها ووسائلها، وتأمين المعتنقين للإسلام، وردّ الظلم والعدوان، وإقامة معالم الحق، ونشر عبادة الله في الأرض، فلما تماهى المشركون على المسلمين أمرهم الله بقتالهم عامة، ثم ماذا يقول هؤلاء المغرضون في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ [المنحنة ٨-٩]، ونهى عن الاعتداء والجور: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعَدِّينَ﴾ [البقرة ١٩٠]، وأمر بالبر والعدل مع المقاتلين، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلل، فأيتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم

(١) دائرة المعارف ١٩/١٠ في مقال للمستشرق مارسية

وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم). والجزية ليست للإرغام على الإسلام، وإنما هي نظير حمايتهم وتأمينهم وتقديم شتى الخدمات لهم.

وفي سيرة الرسول ما يرد على هذه الفرية: حينما وقع سيد بني حنيفة - ثمامة بن أثال الحنفي - في أسر المسلمين، وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله ﷺ فعرفه وأكرمه، وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضاً كريماً فيأبى ويقول: إن تسأل مالا تُعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أطلق سراحه.

لقد استرقت قلب ثمامة هذه السماحة الفائقة، وهذه المعاملة الكريمة، فذهب واغتسل، ثم عاد إلى النبي ﷺ مسلماً مختاراً، وقال له: يا محمد، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إليّ من دينك، فقد أصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فقد أصبح أحب البلاد إليّ.

٢/ تعدد التشويه لمظاهر القوة، ومعالم النصر عند المسلمين.

يتحدث مارسيه عن أربطة المجاهدين التي كان الولاة والخلفاء ينشئونها وقفاً على الثغور، حماية لبلاد المسلمين من الغزو الخارجي، بأنها استحالَت إلى رباطات مشحنة بالبطالين والفساق والمتمردين من الجيوش الإسلامية، قد عملوا السجديات في وجوههم منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات وأكثرهم يقودون ويلوطون وإنما أووا إلى هناك لعجزهم وعدم السكن ومهانة أنفسهم^(١)... الخ، وهم بذلك يخلطون بين الرباط المعد للجهاد وبين الزاوية التي يجتمع فيها الصوفية حول شيخ أو ضريح.

٣/ تعدد التشويه لتاريخ الصحابة والخلفاء.

ادعاء المستشرق فنسك أن زيد بن ثابت رفض مبايعة علي رضي الله عنهما^(٢). ويقول فكا: أن غزوة مؤتة غير موفقة وكان زيد حامل لوائها، وقد حزن عليه محمد ودبر أمر الانتقام له^(٣).

(١) دائرة المعارف ٢١/١٠ - ٢٣

(٢) دائرة المعارف ٩/١١

افتراؤهم أن عائشة رضي الله عنها وقع عليها الطلاق قبل الدخول^(٢).
ويقول فكا: أن عائشة كانت تقول: ما من الناس أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت
زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد^(٣).
وآخر يدعي أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج^(٤).
٤/ إبرازهم لرجال الطوائف المنحرفة.
مثل : رتن الهندي الذي ادعى الصحبة، وأحمد الرفاعي، شيخ الطائفة الرفاعية^(٥).

الباب الثاني: الاستشراق والسنة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية. وتحتة ثلاثة فصول:

أدرك المستشرقون من خلال دراستهم عن الإسلام، أنه دين فيه مقومات القيادة للعالم، وأن
شريعة الإسلام وأخلاقه وآدابه هي التي ترنو إليها الفطر السليمة، وأن محمداً ﷺ هو الشخص
الوحيد الذي يصلح أن يكون قدوة على مدى التاريخ بما حباه الله تعالى من الصفات والأخلاق
الكاملة، فامتألت صدورهم غيظاً على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ فحسدوا المسلمين على ما
آتاهم الله من فضله، وكرهوا أن يروا المسلمين وهم يتأسوا بنبيهم ﷺ، ويطبّقوا أعمالهم
وسلوكلهم على أعماله ﷺ وسلوكه، ويتناقلوا سيرته، وأقواله، ومواقفه.
ومن هنا جندوا أنفسهم باسم البحث العلمي والمعرفة وحرية النقد، فنفتوا سمومهم في دراساتهم
التي أجروها عن الإسلام وخصوصاً عن السنة النبوية، فكانت أبعد ما تكون عن العلم الصحيح،
والبحث القويم، والنقد النزيه.
ونشير هنا إلى أبرز المواضع في دائرة المعارف الإسلامية التي تولى المستشرقون الطعن فيها،
وهي على النحو التالي:

(١) دائرة المعارف ١٠/١١

(٢) دائرة المعارف ١٠/١٦٥ من مقال للمستشرق : ف . بول .

(٣) المرجع السابق ١٢/٣٥٣ .

(٤) دائرة المعارف ١٠/٤٥٥

(٥) انظر الدائرة ١٠/١٤٧

الفصل الأول: المستشرقون والرسول ﷺ والرسالة المحمدية.

لقد جاءت كتابات المستشرقين وأذنبهم حول الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته والرسالة المحمدية عموماً والحديث النبوي خصوصاً متسمة بإثارة الشبه في مصادر الشريعة، وكان غرضهم من ذلك التشكيك في الحديث النبوي كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع في الإسلام، عن طريق الطعن في شخصية الرسول ﷺ وفي حجية السنة، وإثارة الشبه حولها، حتى يترك المسلمون العمل بها.

ويمكن أن نلخص أبرز هذه الافتراءات فيما يتعلق بالفصل الأول، بالآتي:

١/ إفراغ النبوة والرسالة من مفهوم ارتباطها بالغيب والوحي الإلهي.

يردد المستشرقون دائماً اتهام الرسول ﷺ بأنه وضع الأحكام من هواه، وهم بذلك يوهمون من يقرأ ويراجع هذه الدوائر بأن الرسول ﷺ إنما يتصرف من ذاته، وليس هناك ارتباط بينه وبين السماء عن طريق الوحي.

يقول ديمومبين في مادة (الرجم)^(١): أن النبي ﷺ لم يكن عنده الوقت لفرض ما اختاره من بين العادات المختلفة، ولا كان هو يميل إلى فرضه. أ.هـ.

وقال ماسينيون في مادة (زنتيق)^(٢): وكما أن الجريمة التي كان النبي نفسه عليه السلام يقضي دائماً بقتل صاحبها كانت هي سب الرسول.

ويقول فنسك في مادة (السنة)^(٣): أن محمداً قد قضى في كثير من المسائل لا عن طريق الوحي، وإنما بحسب الحالة التي تعرض له. أ.هـ.

اتفق المسلمون قديماً وحديثاً على أن سنة رسول الله ﷺ من قول أو عمل أو تقرير هي من مصادر التشريع الإسلامي، وبها يعرف الحلال والحرام، وسنن النبي ﷺ إما مبينة أو مؤكدة أو مستقلة، ومن الأحكام المستقلة: تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم بعض أنواع البيوع.

فالشريعة تتكون من الكتاب والسنة، ففي الكتاب من الأحكام ما ليس في السنة، وفي السنة من الأحكام ما ليس في الكتاب، وقد قرن الله تعالى طاعة رسوله بطاعته عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) دائرة المعارف ٦١/١٠

(٢) دائرة المعارف ٤٤٢/١٠

(٣) دائرة المعارف ٢٨٣/١٢

وَالْيَوْمَ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [النساء: ٥٩]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ﴾ [المائدة: ٩٢]، وأمر في القرآن بإتباع السنة والعمل بها: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا تَنبَأُكَ بِهِ جَاهِلُونَ ﴾ [الحشر: ٧]، فكل عمل بالسنة عمل بالقرآن، فالأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، أي تقضي عليه وتبين المراد منه.

فإذا كانت هذه منزلة السنة مع القرآن، والله يقول: ﴿ وَمَا يَطِئُونَ عَنِ الْهُدَىٰ ۖ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤]، فلا اعتبار لمن قال أن الرسول يفرض الأحكام من عند نفسه ومن هواه.

٢/ الانتقاص من مقام الرسول ﷺ .

كثيراً ما يستبدلون صيغة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بكلمة مختصرة: (صلعم)، أو: (ص)، وهذه آفة تسربت إلى بعض الكتاب من المسلمين، وهذه الصيغة لا شك أنها تُشعر بالانتقاص لرسول الإسلام ﷺ، ولا تقوم مقام الصلاة بأي حال من الأحوال، ولو علم المسلم ما له من الأجر والثواب عند الصلاة على الرسول ﷺ لجعل دعاءه كله صلاة عليه ﷺ ..

٣/ محاولتهم ربط نبوة الرسول ﷺ بأنها فكرة متأثرة باليهودية والنصرانية.

يقول فنسنت في مادة (رسول)^(١): أما فيما يتعلق بمعنى كلمة رسول فلا بد من الرجوع إلى استعمال هذه الكلمة في النصرانية... والإنسان يميل إلى أن ما في الإسلام من تمييز بين الرسول والنبي هو كالتمييز الموجود فيما كتبه علماء النصارى. أ.هـ.

إن من أحسن ما ذكره العلماء في الفرق بين النبي والرسول هو أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، وإقامة أمر الناس وإزالة ما غيروه من الأحكام، مع وجوب التبليغ على كليهما، فالاختلاف في الشرائع لا يمنع منه أن تكون هناك مواضع تتفق فيها الغايات في الديانات السماوية، فتشبيه الكاتب هذا الفرق عند المسلمين بما عند النصارى يؤيده ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ...) ^(٢)، ولكن الملاحظ هو ربطهم النبوة والرسالة المحمدية بأنها فكرة ليست مرتبطة بالوحي، بل هي محاولة للتأثر بما في النصرانية أو اليهودية من تصورات، وعدم الاعتراف بأن الإسلام دين سماوي.

(١) دائرة المعارف ٩٩/١٠

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح رقم (٣٤٥٥).

وفي موضع آخر أشار بلنسر في مادة (رمضان)^(١) إلى التوافق بين رسالة محمد ونزول الألواح الثانية من شريعة موسى، وأن الأصل في قيام رمضان هو يوم الكفارة عند اليهود - أي يوم عاشوراء - .

وتحت مادة (السحر) يقرر الكاتب دعواه بتأثير المسيحية واليهودية في دين محمد ﷺ وأنه - أي الإسلام - من مؤلفات هاتين الديانتين، بالإضافة إلى غيرهما مما هو سائد في جزيرة العرب آنذاك، فيقول: وهكذا نجد أن عالم الأرواح في جزيرة العرب، مهد الإسلام، على أيام محمد ﷺ ، كان يتألف - بصرف النظر عن الآثار المسيحية واليهودية التي في هذا الدين - من الله ومن الآلهة القبلية والجن، وكان الكهّان والسحرة والعرافون والشعراء والمجذوبون صلة الوصول بين الناس وبين هذا العالم^(٢). أ.هـ .

وقد تكرر كثيراً إحياء كتاب الدائرة أن النبي ﷺ قد أخذ من الأديان السابقة وتأثر بها في صياغة دينه الجديد يقول كاستر تحت مادة (الأدب السامري) من الموسوعة ذاتها: والتشابه بين أصل الحديث وبين السنة السامرية الشفوية أوثق من التشابه بين الحديث وبين السنة اليهودية أو المسيحية^(٣).

ويقول: أن النبي تأثر بحكماء ثلاثة أحدهم كان يهودياً وهو كعب الأحبار، والثاني مسيحياً وهو آب سمليه، والثالث سامرياً، واستطاع محمد أن يهدي الأول والثاني إلى دينه، وأبى السامري أن يدخل في الدين الجديد.

وقد سبق في هذا البحث الرد على هذه الفرية الشائعة في هذه الدائرة.

٤/ وصف الرسول ﷺ بصفات مشينة.

يدعي المستشرق فكا في مادة (زينب) أن النبي ﷺ رأى زينب - بنت جحش - فأعجب بها وأحبها، وطلقها زيداً ليتزوج منها النبي، وقد نزل الوحي بما بدد شكوك النبي^(٤) أ.هـ .

يحلو لكثير من المستشرقين وأذئابهم أن يتخذوا من قصة زواج الرسول ﷺ بزينب منفذاً للطعن في النبي الطاهر، قال ابن العربي: إن قولهم هذا باطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن جينئذ حجاب، فكيف تتشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا

(١) دائرة المعارف ١٨٥/١٠

(٢) دائرة المعارف ٣٠٤/١١

(٣) دائرة المعارف ٩٠/١١ و ١٠٧

(٤) دائرة المعارف ٢٨/١١

إذا كان لها زوج!! وقد وهبته نفسها وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدد له هوى لم يكن! حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة^(١).

لقد أبطل الله بهذا الزواج عادة العرب في تحريم أزواج الأدياء، ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، كما أبطل قبله التبني، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، وهي عادة لا يستطيع أن يبطلها عملياً إلا رسول الله بوحى من عند الله، فواجه عليه الصلاة والسلام ذلك المجتمع دون تردد ولا حرج غير آبه للاستكار ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ ويكفي أن الله هو الذي زوجه بها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وتارة يصورونه بأنه يسير وراء شهواته وملذاته، ففي مادة (سودة بنت زمعة) يقول فكا: أن النبي ﷺ تبرم منها - أي من سودة - حين أسنت، وأهملها، وراح يقضي وقتاً طويلاً مع عائشة الصبية^(٢).

ويقول فكا في مادة (زيد بن حارثة)^(٣): وقد حزن عليه محمد - أي على زيد بن حارثة - ودبر أمر الانتقام له.

٥/ التهوين من شأن شخص النبي ﷺ وسيرته وسنته.

يقول كاتب مادة (سيرة): إن فكرة جمع قصة حياة النبي من مولده إلى وفاته في رواية متتابعة محكمة ليست فكرة قديمة في الجماعة الإسلامية ولا هي بالفكرة التي جاءت عفواً الخاطر... هذا الاهتمام أبعد ما يكون عن طبيعة التاريخ بالمعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة، وإنما انصرف إلى تخليد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية، تلك المغازي التي اشترك فيها المسلمون تحت راية قائدهم الذي كان جل أتباعه ينظرون إليه نظرهم إلى أمير... وإن كان النبي (ص) لا يختلف في خلقه اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية، وقد كان الحافز الأول إلى هذا الاهتمام هو الذي دفع القوم، كما نعلم إلى إقامة السنة في تلك الصورة الماثورة من الحديث المروي... فليست هذه المغازي إلا استمراراً أو تطوراً لأيام العرب... هذه السيرة يرجع أصلها إلى التحول الذي طرأ على شخصية محمد في ضمير المسلمين الديني... وإلى شيء آخر فوق هذا كله، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٥٤٣/٣

(٢) دائرة المعارف ٣٥٣/١٢

(٣) دائرة المعارف ١٠/١١

في أن يضعوا مُنشئ الإسلام في كفة مُنشئ هذين الدينين قد شجعهم على وضع تلك القصص التي أحاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده (بل قبل مولده) إلى وفاته... الخ^(١٨).

إن المسلم مأمور بأن يقتدي برسول الله ﷺ وهذا يقتضي معرفة سيرته وشمائله وأحواله ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فدراسة السيرة من الإيمان لاشتمالها على مواقف للرسول ﷺ وأصحابه، فهي تقوي عزائم المؤمنين السائرين على دربهم، وتثبت المؤمنين للدفاع عن الدين والحق، فسيرته هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع الجوانب، ودراستها تعين على فهم القرآن والسنة، وهي جزء من السنة و مروياتها مبنوثة في كتب الحديث، وظلت السيرة النبوية موضع عناية العلماء كافة، لأنها تنفيذ عملي للتشريع، وبيان لأحكامه، ولذلك أفردها العلماء بالتأليف منذ القرن الأول الهجري، ولا يخلو عصر من العصور إلا وفيه دراسات وأبحاث عن سيرته ﷺ.

وفي مادة (السنة)^(١٩) يقول فنسنت: والكلمة - أي السنة - في حد ذاتها لا لون لها. أ.هـ. السنة لها في اللغة معاني عديدة، ومنها: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عتبة:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راضٍ سنة من يسيرها

والسنة تطلق على الواقع العملي في تطبيق الشريعة، فتشمل ما أثر عن رسول الله ﷺ، وتطلق في مقابل البدعة التي اعتبرها الرسول ﷺ ضلالة..، فقد تتنوع تعريفات السنة بحسب نظرة كل من الفقهاء والمحدثين إليها، فكيف يدعي هذا المستشرق أنها لا لون لها !!!

الفصل الثاني: الاستشراق والحديث النبوي.

حاول المستشرقون أن يوجهوا سهام التشكيك إلى الأصل الثاني للإسلام وهو السنة، وأول مستشرق قام بمحاولة واسعة للتشكيك في الحديث النبوي هو المستشرق اليهودي: جولد تسيهر، الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي، وشيخاً لهم في الجيل الماضي.

وقد احتوت دائرة المعارف على مادة هائلة لآراء المستشرقين تجاه الحديث النبوي، ومن تلك الآراء المفتراة على الحديث:

(١٨) دائرة المعارف ١٢/٤٤٠ - ٥٤٤

(١٩) دائرة المعارف ١٢/٢٨١

١/ تحريف دلالات الأحاديث بسبب جهلهم.

يقول ديمومبين في مادة (الرجم)^(١): ويقاس طول الوقوف بعد الرمي - عند الجمرات - بما يكفي لقراءة سورة البقرة أو سورة يوسف أو آل عمران هذا بتحريف ملول في الحديث أ.هـ. لا أري من أين فهم مقدار الوقوف بعد رمي الجمرات بما يكفي قراءة هذه السور؟ إنه استدل بما رواه البخاري^(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال بعد ما رمى جمرة العقبة وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه: من ها هنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ﷻ. نعم قد روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يقوم عند الجمرتين مقدار ما يقرأ سورة البقرة^(٣)، فمن أين أتى هذا المستشرق سورتي آل عمران ويوسف؟.

وفي مادة (الزهري)^(٤) عند حديث: (لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) يقول هوروفتز: والحق أن هذا الحديث المنسوب إلى النبي والذي جاء فيه أن الحج يكون إلى المسجد الحرام ومسجد النبي في المدينة ومسجد بيت المقدس.

فهذا تحريف لمعنى الحديث، فالحج في الإسلام لا يكون إلا إلى البيت الحرام بمكة، والمقصود من الحديث: زيارة هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها.

٢/ نسبة الأحاديث النبوية إلى الأمثال.

يقول شاخت^(٥): كما قيل في المثل الفقهي: (الرضاعة من المجاعة).

هذا القول الذي جعله مثلاً فقهيّاً أصله حديث في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وعندي رجل، فقال: يا عائشة، من هذا؟ قلت: أخي من الرضاعة، فقال: يا عائشة انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة^(٦).

ويقول: وكثيراً ما تساق في الحديث تلك العبارة المتمشية مع الرأي الجاهلي، وهي (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)^(٧).

(١) دائرة المعارف ٦٤/١٠

(٢) البخاري في الحج باب ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨، ح رقم (١٧٥٠).

(٣) انظر زاد المعاد لابن القيم ٢/٢٨٥، والفتح لابن حجر ٣/٥٨٢ و٥٨٤ باب الدعاء عند الجمرتين.

(٤) دائرة المعارف ٤٥٥/١٠

(٥) انظر مادة (رضاع) في دائرة المعارف ١٣١/١٠

(٦) خرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب من قال: لا رضاع بعد حولين، ح رقم (٥١٠٢)، ومسلم

في الرضاع باب إنما الرضاعة من المجاعة، واللفظ له ٣٤/١٠ بشرح النووي.

٣/ الطعن في صحة الأحاديث.

يقول شاخت أيضاً^(٢): قالت طائفة إنه يحرم من الرضاع قليله وكثيره، بل يقال إنه كان في القرآن عشر رضعات، ثم رد ذلك إلى خمس، ولكن هذه الرواية التي لا شك أنه يقصد منها أن تؤيد الرأي الذي يبنّي عليها غير جديرة بالثقة. أ.هـ.

إنه يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه مسلم في الصحيح^(٣)، قال النووي: ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً، حتى أنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات، ويجعلها قرناً مثلاً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى، والنسخ ثلاثة أنواع: أحدها ما نسخ حكمه وتلاوته، كعشر رضعات.

والثاني: ما نسخت تلاوته وبقي حكمه، كخمس رضعات، وكالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما.

والثالث: ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهذا هو الأكثر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ^(٤). فلا وجه للطعن والغمز في الحديث. والله أعلم.

ويقول نفسه في الدائرة ذاتها: ومن الثابت أن البعض كان يعمد إلى إرضاع أشخاص كبار بقصد إيجاد النسب في الرضاع على نحو غير طبيعي، وتدل على هذا الصنيع أحاديث أخرى كثيرة لا تعتد بها وهي لا تعتد به إما بصراحة وإما على وجه غير صريح ... وكذلك يوجد نص يدل على أنه كان لا يعتد بإرضاع الأطفال بقصد إيجاد النسب في الرضاع المانع من النكاح. أ.هـ.

ليس من السهل أن يشكك أحد في صحة أحاديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في كتابيهما، وقد تلقتهما الأمة بالقبول، فكيف وقد طعن هذا المستشرق في حديث مخرج عندهما بصورة فيها

(١) هذا لفظ من حديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس، خ في النكاح باب (وأمهاتكم اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ) رقم (٥١٠٠)، ومسلم في الرضاع باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل ٢٣/١٠ بشرح النووي. وفي الباب عن عائشة وعلي وأم حبيبة.

(٢) مادة رضاع دائرة المعارف ١٣٠/١٠

(٣) مسلم في الرضاع ٢٩/١٠ بشرح النووي.

(٤) المرجع السابق.

بشاعة وتشويه، حيث يقول: على نحو غير طبيعي، ويشير بذلك إلى حديث سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أمر امرأة أبا حذيفة أن ترضع سالماً وهو غلام يافع. وزعم أنه يوجد نص يدل على أنه لا يعتد بإرضاع الأطفال... الخ. وكان عليه أن يذكره !! ويقول في مادة (زنا)^(١): إن الروايات التي تقول إن النبي عليه السلام طبق حكم الرجم لهي روايات غير جديرة بالثقة.

ودعواهم أن الروايات التي فيها حكم الرجم غير جديرة بالثقة، دعوى مهدومة، فقد رجم النبي ﷺ، وحكم على يهود بالرجم^(٢)، ممثلاً أمر ربه عز وجل: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِأَلْقِسْطٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وعندما حكم النبي ﷺ على اليهود بحكم الله وهو الرجم فقد ألزمهم بأن يؤمنوا به ويصدقوا بما جاء به وأنه من عند الله، وذلك بتطابق الشريعتين في حكم الرجم على الزانيين المحصنين، فالرسول ﷺ إنما حكم بشريعة الله وبحكم الله في القرآن.

٤/ إساءة فهمهم للحديث.

قال ديمومبين في مادة (الرجم)^(٣): ولا يجوز رمي الحصى بشدة، كما لا يصح أن يقول الرامي عند الرمي (إليك إليك) ... ويظهر أن النبي عليه السلام كان يرمي بشيء من الشدة لأنه رفع يده إلى حذاء حاجبه الأيمن، وحتى ظهر إبطه. أ.هـ.

(١) دائرة المعارف ٤١١/١٠ - ٤١٢

(٢) لحديث عمر: رجم رسول الله ﷺ وأبو بكر ورجمت ولولا أني أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف، فإني خشيت أن يجيء أقوام فلا يجدونه في كتاب الله فيكفرون به. رواه الترمذي في الحدود باب ما جاء في تحقيق الرجم رقم (١٤٣١)، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عباس.

(٣) لما أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما..

(٤) دائرة المعارف ٦٣/١٠

يظهر هنا تناقضهم وسوء فهمهم للحديث، يقول: لا يجوز الرمي الحصى بشدة...، ثم يقول: ويظهر أن النبي عليه السلام كان يرمي بشيء من الشدة لأنه رفع يده إلى حذاء حاجبه الأيمن وحتى ظهر إبطه.

الحديث الذي استدل به رواه الترمذي بسند ضعيف^(١)، ولفظه: لما أتى عبد الله جمره العقبة استبطن الوادي واستقبل الكعبة وجعل يرمي الجمرة على حاجبه الأيمن.

ومعناه: أنه رضي الله عنه رمى العقبة من جانبها الأيمن وهو مستقبل الكعبة، فلا معنى هنا للرمي بشدة، ولم يرد في شيء من النصوص أنه ظهر إبطه عند الرمي.

أما استدلاله بحديث الترمذي^(٢) أنه لا يصح أن يقول عند الرمي: إليك إليك، فليس هذا المقصود من الحديث، بل المعنى أن النبي ﷺ من تواضعه وإشرافه على الحجيج وهو راكب على ناقته، لم يأمر بطرد الناس وضربهم وتحتيتهم عن طريقه، كما يفعله الأمراء في هذا المكان.

٥/ اتهام السنة بالقصور في بيان الأحكام:

يقول شاخت: وبعض العناصر الجوهرية في تنظيم الزكاة بعد ذلك غير موجود، لا في القرآن ولا في الحديث^(٣).

٦/ اتهام الصحابة والفقهاء بوضع الحديث.

لا ننكر أن هناك من الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ لا أصل لها، ولكن الذي لا مرية فيه أن علماء السنة ونقاد الحديث في مختلف العصور، لم يكن في يوم من الأيام خافياً عليهم ذلك، أو تركوه من غير بيان، فضلاً عن أن يجنحوا إلى الوضع لأي سبب من الأسباب.

يقول فنسنت في مادة (رهبانية)^(٤): ... أن المحدثين جنحوا إلى استنكار الرهبانية، وهذا الجنوح من جانبهم أدى إلى وضع الحديث الذي يقول (لا رهبانية في الإسلام)، (إن الرهبانية لم تكتب علينا)، (لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله). أ.هـ.

إن الاتهام بأن جنوحهم أدى بهم إلى وضع هذه الأحاديث، تهمة مردودة، لأن الرهبانية أصلها صفة لأتباع الديانة النصرانية، لم يكتبها الله عليهم ابتداءً، إنما كانت اختياراً ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله، ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام

(١) خرجه الترمذي في سننه، في الحج باب كيف ترمى الجمار، ح رقم (٩٠٢) المطبوع مع تحفة الأحوذى.

(٢) خرجه الترمذي في سننه، في الحج باب ما جاء في كراهية طرد الناس عند رمي الجمار، ح رقم (٩٠٥) المطبوع مع تحفة الأحوذى.

والنسائي في سننه الصغرى كتاب المناسك ٢٧٠/٥.

(٣) دائرة المعارف ٣٥٨/١٠

(٤) دائرة المعارف ٢٨١/١٠

أنفسهم ابتغاء رضوان الله، ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يراعوا حقوقها، ويحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع، وقناعة وعفة، وذكر وعبادة .. ثم انتهى الحال بهم إلى أن أصبحت هذه الرهبانية في الغالب طقوساً وشعائر خالية من الروح، فلم يصبر على تكاليفها إلا عدد قليل منهم، وأما الإسلام فنهى عن ذلك كله، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عن التبتل^(١)، وقال: (من رغب عن سنتي فليس مني)، وسنته كما قال ﷺ: (إن من سنتي أن أصلي وأنام وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق)^(٢).

فلا رهبانية في ديننا لأننا لم نؤمر بها، بل رهبانية الإسلام هي الجهاد في سبيل الله، كما في الحديث^(٣) الذي أورده المستشرق.

ومن مفتريات المستشرق (فكا): أنه وضعت أحاديث في مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه، متأثرة بحب النبي ﷺ له^(٤).

ويقرر شاخنت في مادة (زكاة)^(٥): أن آراء الفقهاء التي قيلت في الزكاة تركت أثرها في الحديث.

إن الحديث النبوي لا يشوبه شيء من أقوال أهل الفقه وغيرهم، فالحديث له دواوين والفقه له دواوين، وإنما تستقيم العبارة إذا قالوا: أن الفقه تأثر بالحديث.

٧/الكذب على الحديث النبوي.

يقول شاخنت في مادة (زكاة)^(٦): وتحل الزكاة أيضاً بحسب الحديث للأغنياء والللصوص والبلغايا، لأن المهم هو البر من حيث هو .. أ.هـ

لم يرد في الحديث شيء يدل أن الزكاة تحل لهؤلاء!! فمصارف الزكاة معروفة بنص القرآن للأصناف الثمانية الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة.

وفي موضع آخر نجد منهم الإشادة بالموضوعات، والأحاديث التالفة على وجه الإقرار.

يقول إيفر في مادة (رتن)^(٧): وتعرف الأحاديث التي نقلها رتن بالرتنيات.

(١) سنن الدارمي ٥٨/٢ ح رقم (٢١٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها بسند صحيح.

(٢) المرجع السابق.

(٣) حديث: لكل نبي رهبانية ... رواه أحمد في المسند ٢٦٦/٣ من حديث أنس رضي الله عنه، وسنده ضعيف من أجل زيد العمي، ويروى مرسلًا وهو أصح من الموقوف.

(٤) دائرة المعارف ١٠/١١

(٥) دائرة المعارف ١٠/٣٥٨

(٦) دائرة المعارف ١٠/٣٥٨

قال الإمام الذهبي: رتّن الهندي، وما أدراك ما رتّن! شيخ دجّال بلا ريب، ظهر بعد الستمائة فادّعى الصّحبة، والصّحابة لا يكتبون، وهذا جرى على الله ورسوله... ومع كونه كذاباً فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمع الكذب والمحال^(٢).

٨/ إظهار التناقض والتضارب بين القرآن والحديث.

يقول فنسنتك: أن محمداً جعل الرجم عقاب الثيب إذا زنت، على حين جعل القرآن عقاب الزاني والزانية مائة جلد^(٣).

سبق الرد على هذه الفرية، وبيان أن حد الرجم فرض في القرآن، فنسخت تلاوته وبقي حكمه. ومن جانب آخر يُظهرون التضارب بين الحديث وبين فقه الزكاة، يقول شاخنت في مادة (زكاة)^(٤): وفي الحديث أحوال تؤدي فيها الزكاة لا تتفق مع نظام الزكاة الذي جاء بعد ذلك.

٩/ إيرادهم لأحاديث لا أصل لها.

كثيراً ما يورد المستشرقون أحاديث باطلة، أو لا أصل لها في ثنايا أبحاثهم، فمثلاً: حديث: تسرولوا وائتزلوا، وخالفوا أهل الكتاب^(٥).

وحديث: يرحم الله المتسرولات من النساء^(٦).

وحديث: اللهم اغفر للمتسرولات من أمتي^(٧).

الفصل الثالث: المستشرقون ورواة الحديث.

علماء الحديث ونقادهم حفظ الله بهم السنة من الضياع والدخل، لقد أبلوا بلاء حسناً في نقد الأحاديث متناً وإسناداً، وبيان حال الرواة بعد تتبع ودراسة لحياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الرواة والتشهير بهم ورع ولا حرج، وأي دعوى تحط من شأنهم أو تطعن في صدقهم ونزاهتهم، فإنما هي محاولة لهدم السنة المصدر الثاني للتشريع، وقطع الصلة بين الأمة وبين مصادر التلقي والتأسي عندها.

(١) دائرة المعارف ٤٥/١٠

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٤٥/٢

(٣) دائرة المعارف ٢٨٤/١٢

(٤) دائرة المعارف ٣٥٨/١٠

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر: هذا الكلام لا أدري ما أصله؟ ولا أعرف من أين جاء به الكاتب؟ ولم أجده في شيء من

المراجع. تعليق الشيخ على مادة سروال ٣٧٦/١١

(٦) انظر التعليق السابق.

(٧) قال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث ضعيف جداً، لأن أحد رواة وهو: إبراهيم بن زكريا المعلم، وكان يحدث بالباطيل، وهذا الحديث من بلاياه. انظر المرجع السابق.

وقد حوت دائرة المعارف الإسلامية على كثير من الطعون والغمز لأئمة الحديث من لدن صحابة الرسول ﷺ، وسنعرض لنماذج من ذلك فيما يلي:

١/الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وسوء الظن بهم:

* يقول شاخت في مادة (زكاة)^(١) وهو يغمز الصحابة بالبخل والشح: أن الحض على الزكاة كان مقترناً بالشكوى من قلة ما يوجد به البعض.

* ويقول رسكا وهو يغمز الصحابي الجليل الزاهد النقي الخفي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأنه انصرف إلى الدنيا وزينتها، وجارى الملوك في تشييد القصور، وابتنى لنفسه قصراً فخماً في الكوفة على غرار طاق خسرو في المدائن، فلما سمع بذلك عمر أقاله^(٢)

* طعنهم في طلحة والزبير رضي الله عنهما بأنهما لم يكونا حسن النوايا تجاه فتنة مقتل عثمان^(٣).

* غزهم للخليفة عثمان رضي الله عنه بأنه أقام سعيد بن العاص رضي الله عنه الشاب الحدث القليل التجربة والياً على الكوفة..، وأن سعيداً أثار عليه أهل الكوفة لنزوعه إلى العدوان^(٤).

* اتهامهم لسلمان الفارسي رضي الله عنه بأنه مؤسس مذهب التصوف^(٥).

٢/الطعن في الإمام الزهري رحمه الله.

* اتهامه ضمناً بأنه كان يضع الأحاديث لبني أمية، وأنه شخّصَ إلى دمشق ليروي لعبد الملك ابن مروان الحديث المؤيد لدعوته إلى منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير^(٦).

وللرد على هذه الفرية بالذات فإن خير من أجاب عنها هو الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، ويحسن بنا أن ننقل هنا مقتطفات من هذا الكتاب، قال رحمه الله:

زعم المستشرق أن عبد الملك بنى قبة الصخرة ليحول بين أهل الشام والعراق وبين الحج إلى الكعبة، فوضع له صديقه الزهري حديث (لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...)، ومن المعلوم

(١) دائرة المعارف ٣٥٧/١٠

(٢) دائرة المعارف ٤٠١/١١

(٣) مقال المستشرق تَستَرشِيتن في دائرة المعارف ٤٣٦/١١

(٤) دائرة المعارف ٤٣٦/١١

(٥) مقال ليفي دلافيد في دائرة المعارف ١٠٩/١٢

(٦) دائرة المعارف ٥٩/١٠

أن المؤرخين الثقات لم يختلفوا في أن الذي بنى القبة هو الوليد بن عبد الملك، ولا توجد رواية ولو واحدة تنسب بنائها إلى عبد الملك. ثم إن نص الحادثة يبين بطلانها، فهل يعقل أن يبني عبد الملك قبة ليحج الناس إليها؟ إن هذا كفر صريح، ولو كانت ثابتة عنه لجعلها خصومه وسيلة للتشنيع عليه وتكفيره والتشهير به.

إن نصوص التاريخ تقطع بأن الزهري كان عمره في أيام فتنة ابن الزبير خمسة عشر عاماً أو أكثر بقليل، ولا يعقل أن يكون الزهري في تلك السن ذائع الصيت عند الأمة فضلاً عن بني أمية فيضع لهم حديثاً، ثم إن الزهري لم يلق عبد الملك ولا رآه في عهد ابن الزبير كما قطعت بذلك الروايات التاريخية.

إن حديث (لا تشد الرحال..) لم ينفرد الزهري بروايته، بل شاركه غيره وهم ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر، وجريز عن ابن عمير، وهو في الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وروي من طرق أخرى وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق، واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه، وكان ابن عمر يأتي إليه فيصلي فيه.

أن الزهري روى هذا الحديث عن شيخه سعيد بن المسيب، وقد توفي سعيد بعد مقتل ابن الزبير بعشرين سنة، فما كان له أن يسكت على هذا الكذب عنه وقد كان جبلاً شامخاً من جبال القوة في الحق، لا يبالي في الله لومة لائم، ولو فرضنا أنه وضع هذا الحديث فلم لم يصرح فيه بفضيلة القبة وقد أراد عبد الملك أن يحج الناس إليها؟!! أهـ النقل منه ملخصاً^(١).

الخاتمة

وبعد جولة في الأجزاء الثلاثة (١٠، ١١، ١٢) من دائرة المعارف الإسلامية، وباستعراض ما فيها من ثغرات منهجية علمية، تجاه الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، يتضح مدى الحقد، والتعصب الأعمى الذي احتوته نفوس كتّاب هذه الدائرة من المستشرقين الذين يدعون النزاهة في مجال البحث العلمي، وما جمعته في هذا البحث غيظ من فيض، وإنما اقتصر على المواد التي ظهر واستبان فيها الدس والتشويه، ولا تزال الدائرة مملوءة بتلك الثغرات والأخطاء، في كل موضوعات الدين الإسلامي.

ويمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال قراءة تلك الأجزاء من الدائرة بما يلي:

- احتواء الدائرة على سوء الظن بالإسلام، والرسول ﷺ وعلماء المسلمين.
 - جهل محرري الدائرة بحقيقة الإسلام، وبالتالي جاء حكمهم عليه من خلال تصوراتهم.
 - تعمدهم لتحريف النصوص من القرآن والسنة بما يوافق أفكارهم.
 - مصادرهم التي يرجعون إليها، ليست أصلية في بابها، فتراهم مثلاً يرجعون إلى كتب التاريخ في تفسير الآيات والأحاديث، ثم إن معظم مصادرهم ما كتب عن الإسلام في أوروبا والتي كانت السمة الغالبة عليها الهجوم عليه بشراسة.
 - الجامع في توجهات المحررين في الدائرة هو معاداة الإسلام، والتعصب ضده، وأن أغلب كتابها قساوسة مبشرون.
 - إنكار بعض كتاب الدائرة سماوية الدين الإسلامي، وبعضهم يحاول نسف الأساس الذي يقوم عليه القول بسماويته.
 - أنهم يفتقنون النزاهة والموضوعية والمنهجية في تناول القضايا الإسلامية.
 - سيطرة البدع الدخيلة على الإسلام، على مواد الدائرة بشكل واضح، وبأساليب ماهرة.
 - جمعت دائرة المعارف هذه خلاصة ما كُتب عن الإسلام في الكتب التي ألفها المستشرقون، على الإسلام خلال السنوات الطويلة.
 - ركاكة الأسلوب، والترجمة، والضعف العلمي الواضح على مواد الموسوعة.
- هذه أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، فإن كان فيه من صواب فمن الله فله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.
- وصلّى الله وسلم وبارك على رسوله النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المراجع

- أحكام القرآن / ابن العربي / دار الجيل بيروت / ١٤٠٧هـ .
- الترغيب والترهيب للمنذري/ت محمد عمارة /إحياء التراث العربي/بيروت/ط٣/١٣٨٨هـ .
- جامع البيان للطبري / دار المعرفة بيروت/ ط١/ ١٣٢٣هـ .
- دراسات في الحديث النبوي / محمد الأعظمي / جامعة الرياض / ١٣٩٦هـ .
- رسائل الشيخ ابن باز / توزيع البحوث العلمية والإفتاء الرياض .
- زاد المعاد/ ابن القيم / ت الأرنبوط / مؤسسة الرسالة بيروت / ط٢/ ١٤٠١هـ .
- سنن الترمذي / ت فؤاد عبد الباقي /مكتبة البابي الحلبي مصر/ط٢/١٣٨٨هـ .
- سنن الدارمي /ت عبد الله هاشم/حديث اكادمي باكستان/١٤٠٤هـ .
- سنن النسائي/ دار الفكر/ بيروت / ط١/ ١٣٤٨هـ .
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي /للسباعي/المكتب الإسلامي بيروت/ط٢/١٣٩٨هـ
- صحيح مسلم مع شرح النووي / دار الفكر / بيروت .
- فتح الباري / ابن حجر / ت فؤاد عبد الباقي / دار المعرفة بيروت / ١٣٨٠هـ .
- لسان العرب / ابن منظور / دار صادر بيروت .
- مسند الإمام أحمد / ٥٠ مجلداً / مؤسسة الرسالة بيروت / ط٢/ ١٤٢٠هـ .
- المغني / لابن قدامة / ت عبد الله التركي / وزارة الشؤون الإسلامية / ط٣/ ١٤١٧هـ .
- الموجز في الأديان والمذاهب/ القفاري والعقل / ط١/ دار الصمعي الرياض/ ١٤١٣هـ
- الموسوعة الميسرة في الأديان/ الندوة العالمية الرياض/ ط٣/ ١٤١٨هـ .
- ميزان الاعتدال / الذهبي / ت علي البجاوي / دار المعرفة بيروت .